العلاقة بين الاستشراق والتبشير

بقلم الدكتور
أحمد عبد الرحيم السايح
مدرس العقيدة والفلسفه

مفهوم الإستشراق :

أصبح موضوع الإستشراق والمستشرقين من المواضيع التى تشد إنتباه علماء الإسلام، لما رأوا أن دراسات المستشرقين للإسلام لا تخلو عن نوع من التدسيس والتحريف بحسب ما يقومون به من تحقيق علمى أو إكتشاف تاريخى. ذلك أن العمـــل الإستشراقى لم يقم على النوايا المخلصة الطيبة، ولكن أصبح مزيجا من الحق والباطل(١)، ومن هنا صار حقا على الباحث والدارس أن يعنى بتحديد مفهوم الإستشراق(٢) والوقوف على معالمه البارزة ، وآفاقه ، ومظاهره ، وأهدافه ، ليتبين الطريق، ويتبصر الأمر ، ويتعرف على المعالم، والحقائق. فيكون على بينة من أمر يمسه فى حياته ، ويهمه أن يكون على وعى له ومنه .

والواضح أن كلمة «الإستشراق» مشتقة من مادة «شرق» يقال شرقت الشمس شرقا وشروقا : إذا طلعت(٣) . ومما يسترعى الإنتباه أن كلمة الإستشراق والتى نبحث عن مفهومها اللغوى لم ترد فى المعاجم العربية المختلفة(٤) وليس معنى عدم ورودها فى المعاجم اللغوية منع الباحث من

(١) انظر سعيد الأعظمى : الإسلام والمستشرقون لماذا ؟ ص ٧ من كتاب الإسلام والمستشرقون ط عالم المعرفة ص ٥، ١٤٠٥ هـ .

(٢) انظر الدكتور أحمد سما يلوفتش : فلسفة الاستشراق ص ٢١

(٣) مجمع اللغة العربية المعجم الوسيط جـ ١ ص ٤٨ ط القاهرة ١٩٦٠

(٤) ابن منظور لسان العرب جـ ١ ص ١٧٣ . الفيروز أبادى: القاموس المحيط جـ ٣ ص ٢٤٨ الازهرى ، تهذيب اللغة جـ ٨ ص ٣٢٦ ، الجوهرى الصحاح جـ ٢ ص ١٥٠٠ ، والشرنوبى أقرب الموارد جـ ١ ص ٥٨٦ وغير ذلك .

الوصول إلى المعنى الحقيقى إستنادا إلى قواعد الصرف ، وعلم الاشتقاق حيث يبدو أن معنى استشرق : أدخل نفسه فى أهل الشرق وصار منهم(١).

وبعض المصادر اللغوية الحديثة تقول : استشرق : طلب علوم الشرق ولغاتهم «مولدة عصرية» يقال لمن يعنى بذلك من علماء الفرنجة(٢) .

«والمستشرق هو عالم متمكن من المعـــارف الخاصة بالشرق ولغاته وآدابه»(٣).

أما لدى علماء الغرب فيتساءل «أربرى» نفسه : ما هو الاستشراق ؟ وما كنه المستشرق؟ ومن الجلى أن الكاتب حين يعرض لمثل هذا الموضوع الواسع الذى لايزال مجهولا بين الجماهير ، يحسن أن يحاول الوصول إلى اتفاق بينه وبين قارئيه، حتى يتعرفوا موقفهم صحيحا، ومما يزيد من ضرورة هذا التفاهم، أن الاستشراق ومثله فى ذلك مثل كثير من فروع العلم الأخرى قد تخطى حدوده إلى ميادين تنتمى فى حقيقتها إلى علوم أخرى مستقلة عنه ، وإن كانت مجانسة له . حيث أن المستشرق يشارك فى عمـــله عالم الآثار ، والحفريات ، والمؤرخ ، وعالم الصرف ، والاشتقاق ، وعالم الأصوات ، والفيلسوف ، وعالم اللاهوت ، والموسيقى ، والفنان(٤).

أما قاموس أكسفورد الجديد فيحدد المستشرق بأنه : «من تبحر فى

---

(١) الدكتور أحمد سمايلوفتش : فلسفة الاستشراق ص ٢٢

(٢) الشيخ أحمد رضا معجم متن اللغة ج٣ ص ٣١١ ط بيروت دار مكتبة الحياة ١٩٥٨

(٣) انظر الدكتور أحمد سمايلوفتش فلسفة الاستشراق ص ٢٢

(٤) المصدر السابق ص ٢٢

لغات الشرق وآدابه»(١) ويقول . بارت : «الاستشراق علم يختص بفقه اللغة خاصة»(٢) ويعرف جويدى علم الاستشراق والمستشرق فيقول : والوسيلة لدرس كيفية النفوذ المتبادل بين الشرق والغرب إنما هو علم الشرق ومن الممكن أن نقول إنه بناء على الارتباط المتبين بين التمدن الغربى والتمدن الشرقى ، ليس علم الشرق إلا بابا من أبواب تاريخ الروح الإنسانى وليس صاحب علم الشرق الجديد بهذا اللقب بالذى يقتصر على معرفة بعض اللغات المجهولة ، أو يستطيع أن يصف عادات بعض الشعوب . بل إنما هو من جمع بين الانقطاع إلى درس بعض أنحاء الشرق، وبين الوقوف على القوى الروحية الأدبية الكبيرة التى أثرت على تكوين الثقافة الإنسانية . هو من تعاطى درس الحضارات القديمة ومن أمكنه أن يقدر شأن العوامل المختلفة فى تكوين التمدن فى القرون الوسطى مثلا أو فى النهضة الحديثة وعلم الشرق هذا علم من علوم الروح يتعمق فى درس أحوال الشعوب الشرقية ولغاتها وتاريخها، وحضارتها ، ثم يستفيد من البحوث الجغرافية والطبيعية(٣).

ويرى ديتريش : أن المستشرق هو ذلك الباحث الذى يحاول دراسة الشرق وتفهمه ، ولن يتأتى له الوصول إلى نتائج سليمة فى هذا المضمار ما لم يتقن لغات الشرق(٤).

ويذكر الدكتور أحمد سمايلوفتش بعد أن عرض آراء علماء الغرب

---

(١) أربرى : المستشرقون البريطانيون ص ٧، ٨ ترجمة محمد الدسوقى النويهى ط وليان لندن.

(٢) الدكتور أحمد سمايلوفتش فلسفة الاستشراق ص ٢٣

(٣) جويدى علم الشرق وتاريخ العمران ص ١١ — ١٤

(٤) ديتريش الدراسات العربية فى ألمانيا ص ٧ ط دار النشر ١٩٦٢م

٤

إن الباحث يستطيع أن ينتهى إلى نتائج ذات دلالات بالغة ليفيد منها إلى تقرير الحقائق التالية.

أولا : إن دارس موضوع الاستشراق يجب عليه قبل كل شىء أن يحدد مفهومه ويحاول إيصال معناه محدداً إلى قارئيه.

ثانيا : إن الاستشراق علم ذو حدود واسعة وأحيانا غير واضحة ، إذ يختلط ميدانه بميادين العلوم الأخرى ، لأن المستشرق قد يشارك فى أبحاثه علماء الآثار ، والأصوات ، والاشتقاق ، والحفريات ، واللاهوت وما شاكل ذلك.

ثالثا : إن المفهوم العلمى لكلمتى الاستشراق والمستشرق قد مر بأدوار مختلفة منذ عام ١٦٨٣م عندما كان يعنى : أحد أعضاء الكنيسة الشرقية إلى عصرنا هذا ، حيث أصبح يعنى التبحر فى إحدى لغات الشرق وآدابها فكان هذا التبحر شرط أساسى فى عالم الاستشراق.

رابعا : إن كلمة الاستشراق ذات دلالتين : أولاهما : أنه علم يختص بفقه اللغة ومتعلقاتها على وجه الخصوص . وثانيهما : أنه علم الشرق أو علم العالم الشرقى على وجه العموم ، فعلى هذا الأساس يشمل كل مايتعلق بمعارف الشرق من لغة وآداب ، وتاريخ وآثار ، وفن وفلسفة وأديان وغيرها من علوم وفنون.

خامسا : ان الاستشراق علميـــا يرجع إلى العصر الوسيط ، بل إلى العصور القديمة.

سادسا : إن الاستشراق كفكرة علمية قد نال حظا عظيما فى أثناء القرن الثامن عشر ، حيث كان للشرق يأخذ مكانه فى أبحاثه ومؤلفاته إلى

جانب الغرب فى أفق شمولى ، مما يدل على أن دراسة العرب وما يتعلق بهم كان ولايزال أمرا بالغ الأهمية لعلم الاستشراق ودراساته.

سابعا : أن الاستشراق يطلق على الجمع والانقطاع إلى دراسة الانحاء المختارة من الشرق والوقوف على قواه الروحية وآدابه العظيمة التى أسهمت إسهاما فعالا فى تكوين ثقافة العالم بأسره(١).

وإذا كنا تعرضنا لآراء علماء الغرب فى الاستشراق ووصلنا إلى نتائج وحقائق ذات دلالات بالغة فإنه يحسن أن نعرض لآراء علماء العربية ونتعرف على مفهوم الاستشراق عندهم.

— يقول الزيات : «يراد بالاستشراق اليوم دراسة الغربيين لتاريخ الشرق وأممه ولغاته وآدابه وعلومه وعاداته ومعتقداته وأساطيره، ولكنه فى العصور الوسيطة كان يقصد به دراسة العبرية لصلتها بالدين ودراسة العربية لعلاقتها بالعلم ، إذ بينما كان الشرق من أدناه إلى أقصاه مغموراً بما تشعه منائر بغداد والقاهرة من أضواء المدنية والعلم ، كان الغرب من بحره إلى محيطه غارقا فى غياهب من الجهل الكثيف والبربرية الجموح(٢).

— ويذكر أحمد الأسكندرى وأحمد أمين أن المستشرق «هو كل من تجرد من أهل الغرب لدراسة بعض اللغات الشرقية ، وتقصى آدابها طلبا لتعرف شأن أمة أو أمم شرقية من حيث أخلاقها وعاداتها وتاريخها وديانتها أو علومها وآدابها أو غير ذلك من مقومات الامم والأصل فى كلمة استشرق أنه صار شرقيا(٣).

---

(١) الدكتور أحمد سمايلوفتش . فلسفة الاستشراق ص٢٦ بتصرف.

(٢) أحمد حسن الزيات : تاريخ الأدب العربى ص ٥١٢ ط دار نهضة مصر بالقاهرة.

(٣) أحمد الأسكندرى وآخرون : الفصل فى تاريخ الأدب العربى ج٢ ص٤٠٨ ، مطبعة مصر ١٩٣٤م القاهرة .

٦

— والأستاذ على العنانى يتوسع فى فهمه للاستشراق فيقول : « من صيغة هذه الكلمة تعرف أن المستشرق هو المشتغل بالعقليات الشرقية سواء أكانت سامية أو غير سامية . ولكن هذه الكلمة فى اصطلاح العلماء والأدباء تطلق على المشتغل بالعقليات السامية خاصة ويتبع ذلك البحث فى اللغات العامية(١).

— ويقول الدكتور أحمد الشرباصى : المستشرقون قوم من أوربا ، نسبوا أنفسهم إلى العلم والبحث ، وشغلوها فى أغلب الأحيان بالبحث فى التاريخ والدين والاجتماع ولكل منهم لغته الأصلية التى رضع لبانها من أمه وأبيه ومجتمعه وبيئته ، فصارت له اللغة الأم ، فهو يغار عليها ويتأثر بها . ويستجيب لموجباتها ولكنه مع ذلك تعلم اللغة العربية بجوار لغته الأصلية ليدرس حضارة الشرق وعلومه وآدابه(٢).

— ويحاول الاستاذ محمد عبد الغنى حسن أن يوجز الأمر فيقول :

الإستشراق هو اشتغال غير الشرقيين بدراسة لغات الشرق وحضارته وفلسفاته وأديانه وروحانياته وأثر ذلك فى تطور البنـــاء الحضارى للعالم كله(٣)

---

(١) على العنانى : المستشرقون والآداب العربية مجلة الهلال أغسطس صـ ٤٠ عام ١٩٣٢ القاهرة .

(٢) أحمد الشرباصى : التصرف عنـــد المستشرقين صـ ٦ ط سلسلة الثقافة الإسلامية ١٩٦٦م

(٣) محمد عبد الغنى : حسن عبد الله الفكرى صـ ٨ ، سلسلة أعلام العرب .

ويرى مالك بن نبي : إن المستشرقين هم الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الاسلامية (١) .

ويذكر الاستاذ على حسنى الخربوطلى : إن المستشرق هو عالم غربى يهتم بالدراسات الشرقية ، فلا بد أن يتوافر فى هذا المستشرق الشروط الواجب توافرها فى العالم المتخصص المتعمق حتى ينتج ويفيد البشرية والحضارة بانتاجه العلمى ، ولابد أن ينتمى هذا إلى الغرب(٢)

والدكتور محمد حمدى زقزوق يرى : أن كلمة مستشرق بالمعنى العام تطلق على كل عالم غربى يشتغل بدراسة الشرق كله أقصاه ووسطه وأدناه ، فى لغاته وآدابه وحضارته وأديانه . والذى يعنينا هنا هو المعنى الخاص لمفهوم الاستشراق الذى يعنى بالدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الاسلامى فى لغاته وأدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته ن حضارته بوجه عام وهذا المعنى هو الذى ينصرف إليه فى عالمنا العربى الإسلامى عندما يطلق لفظ استشراق أو مستشرق(٣)

---

(١) مالك بن نبي . انتاج المستشرقين وأثره فى الفكر الاسلامى الحديث ص ٥،٦ ط دار الارشاد بيروت ١٩٦٩ .

(٢) على حسنى الخربوطلى : المستشرقون والتاريخ الاسلامى ص ٢٥ ، ٢٦ ط المجلس الاعلى للشئون الاسلامية .

(٣) الدكتور محمود حمدى زقووق الاشتشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى ص١٨ طبع كتاب الأمة بقطر ١٤٠٤ هـ

نتائج .

لقد استطعنا أن نعرض أراء بعض علماء العربية والإسلام والاستشراق وهناك أراء أخرى غير أراء هؤلاء العلماء الاجلاء لكننا اكتفينا بما ذكرناه من أراء ، لما فيها من السعة والشمول . ولعلنا بعد هذا نخلص إلى النتائج التالية :

أولا : أن الاستشراق علم يحاول أصحابه دراسة كل ما يتعلق به من لغات وأداب ومعتقدات وعلوم وفنون ما شاكلها .

ثانيا : أن المعنى الأصلى لكلمة استشرق « صار شرقيا » ، وأن صيغة المستشرق علميا تطلق على ذلك الذى يشتغل بالعقليات الشرقيـــة عامة والسامية خاصة .

ثالثا : أن المستشرق عالم غربى يهتم بالدراسات الشرقية على الاطلاق ويجب أن يكون عالم متخصصا غربيا أصلا أو انتماء .

رابعا : أن المعنى الذى ينصرف إليه الذهن عندما يطلق لفظ مستشرق هو الذى يعنى بالدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الاسلامى .

وبناء على ما ذكره العلماء المتخصصون والدراسون للاستشراق يمكن القول : أن الاستشراق أصبح إسما واسعا ، يشمل طوائف متعددة تعمل فى ميادين الدراسات الشرقية المختلفة(١) ويكاد يكون الاستشراق علما قائما بنفسه له أصوله وفروعه وله مقدماته ونتائجه يكاد يكون رجاله على رغم شتاتهم شعبا خاصا وله افقه الخاص به ، وحياته المقصورة عليه(٢)

(١) ابراهيم عبد المجيد اللبان المستشرقون والإسلام ص ٥٤ ط الأزهر ١٩٧٠ م

(٢) محمد الحوماني المستشرقون مجلة الرسالة ٢٦ يوليو ١٩٣٧ القاهرة

لكن يمكن القول: أن الاستشراق فى دراسته للاسلام ليس علما بأى مقياس علمى، وإنما هو عبارة عن «أيديولوجية» خاصة، يراد من خلالها ترويج تصورات معينة عن الإسلام، بصرف النظر عما إذا كانت هذه التصورات قائمة على حقائق أو مرتكزة على أوهام واقتراءات(١)

والاستشراق مهنة وحرفة كالطب والهندسة والمحاماه، وهو أقرب الشبه إلى مهنة التبشير(٢)

وإذا أجرى الباحث موازنة بين أداء علماء الغرب وعلماء العربية فى الاستشراق فإنه سوف يصل إلى التقريرات التالية:

أولا: يرى العلماء أن الاستشراق قد أصبح علما مستقلا له ذاتيته وكأنه يقوم بدراسة كل ما يتعلق بالشرق وحضارته.

ثانيا: قرر العلماء أن المستشرق لابد له من معرفة كاملة باحدى اللغات الشرقية وأدابها(٣)

أسباب الاستشراق

يبدو للباحث بعد الدراسة والاستقصاء أن للاستشراق أسباب كثيرة ودوافع متعددة: نفسية وتاريخية واقتصادية وايدلوجية ودينية وأخيرا علمية وبجانب هذا هناك أسباب ثانوية شخصية مزاجية عند بعض الذين

---

(١) الدكتور محمود حمدى زقزوق الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى ص ١٢٠ ط كتاب الأمة.

(٢) حسين الهروى نحن والمستشرقون مجلة المعرفة ص ٤٠ يوليو ١٩٣٣

(٣) الدكتور أحمد سمايلوفتش فلسفة الاستشراق ص ٣٢ بتصرف

تهيأ لهم الفراغ والمال ، واتخذوا الاستشراق وسيلة لإشباع رغباتهم الخاصة فى السفر والترحال أو فى الاطلاع على ثقافات العالم القديم(١)

وليس من الضرورى بحث تلك الدوافــــع والتعرف على كل هذه الأسباب لأن السبب الرئيسى المباشر الذى دعا الأوربيين إلى الاستشراق هو سبب دينى فى الدرجة الأولى فقد تركت الحروب الصليبية فى نفوس الأوربيين ما تركت من آثار مرة عميقة ، وجاءت حركة الإصلاح الدينى المسيحى فشعر المسيحيون : بروتستانت وكاثوليك بحاجات ضاغطة لإعادة النظر فى شروح كتبهم الدينيـــــة ، ولمحاولة تفهمها على أساس التطورات الجديدة التى تمخضت عنها حركة الإصلاح ، ومن هنا اتجهوا إلى الدراسات العبرانية ، وهذه أدت بهم إلى الدراسات العربية والإسلامية لأن الأخيرة كانت ضرورة لفهم الأولى وخاصة ما كان منها متعلقا بالجانب اللغوى ، وبمرور الزمن اتسع نطاق الدراسات الشرقية حتى شملت أديانا ولغات وثقافات غير الإسلام وغير العربية(٢) .

ومن جهـــــة أخرى رغب المسيحيون فى التبشير بدينهم بين المسلمين فاقبلوا على الاستشراق ليتسنى لهم تجهيز الدعاة وإرسالهم للعالم الإسلامى والتقت مصلحة المبشرين مع اهداف الإستعمار ، فمكن لهم ، واعتمد عليهم فى بسط نفوذه فى الشرق ، وأقنع المبشرون زعماء الإستعمار بأن المسيحية ستكون قاعدة الإستعمار الغربى فى الشرق ، وبذلك سهل الاستعمار للمبشرين مهمتهم ، وبسط عليهم حمايته ، وزودهم بالمال والسلطان وهذا

---

(١) المصدر السابق نفسه ص ٣٢

(٢) الدكتور محمد البهى المبشرون والمستشرقون ص ٣٧٤ من حولية كلية الدعوة العدد الثانى ١٤٠٦ هـ مصر

هو السبب فى أن الإستشراق قام فى أول أمره على أكتاف المبشرين والرهبان ثم اتصل بالاستعمار(١)

بدايات الاستشراق

لا يعرف بالضبط من هو أول غربى عنى بالدراسات الشرقية ، ولا فى أى وقت كان ذلك ، ولكن المؤكد ، أن بعض الرهبان الغربيين ، قصدوا الأندلس فى ابان عظمتها ومجدها ، وتثقفوا فى مدارسها ، وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم ، وتتلمذوا على علماء المسلمين فى مختلف العلوم وبخاصة فى الفلسفة ، والطب ، والرياضيات ، ومن أوائل هؤلاء الرهبان الراهب الفرنسى « جربرت » الذى انتخب بابا لكنيسة روما عام ٩٩٩ م بعد تعلمه فى معاهد الأندلس ، وعودته إلى بلاده ، وبطرس المحترم ١٠٩٢ — ١١٥٦ م وجيراردى كريمون ١١١٤ — ١١٨٧ م وبعد أن عاد هؤلاء الرهبان إلى بلادهم نشروا ثقافة العرب ومؤلفات أشهر علمائهم ، ثم أسست المعاهد للدراسات العربية أمثال مدرسة « بادوى » العربية ، وأخذت الأديرة والمدارس العربية ، تدرس مؤلفات العرب المترجمة إلى اللاتينية ، وهى لغة العلم فى جميع بلاد أوربا يومئذ واستمرت الجامعات العربية تعتمد على كتب العرب وتعتبرها المراجع الأصلية للدراسة قرابة ستة قرون(٢).

وليس هناك شك فى أن الانتشار السريع للاسلام فى المشرق والمغرب

(١) المصدر السابق صـ ٣٧٥

(٢) انظر الدكتور مصطفى السباعى : الاستشراق والمستشرقون صـ ١٣ ، ١٤ ط المكتب الإسلامى بيروت ١٦٠٥

قد لفتت بقوة أنظار رجالات اللاهوت النصرانى إلى هذا الدين ومن هنا بدأ اهتمامهم بالإسلام ودراسته (١).

ويبدو من الصعب تحديد تاريخ معين لبداية الاستشراق، وان كان بعض الباحثين يشير إلى أن الغرب النصرانى يؤرخ لبدء وجود الاستشراق الرسمى بصدور قرار مجمع «فيينا» الكنسى فى عام ١٣١٢ م بأنشاء عدد من كراسى اللغة العربية فى عدد من الجامعات الأوربية (٢) ولكن الإشارة هنا إلى الاستشراق الكنسى، تدل على أنه كان هناك استشراق غير رسمى قبل هذا التاريخ فضلا عن أن هناك باحثين أوربيين (٣).

ويذكر الباحثون: أنه ليس هنـــاك اتفاق على فترة زمنية معينة لبداية الإستشراق فبعض الباحثين يذهب إلى القول بأن البـــدايات الأولى للاستشراق ترجع إلى مطلع القرن الحادى عشر الميلادى بينما يرى «رودى رات» أن بدايات الدراسات الإسلامية والعربية فى أوربا تعود إلى القرن الثانى عشر الذى تمت فيه لأول مرة ترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية كما ظهر أيضا فى القرن نفسه أول قاموس لاتينى عربى (٤).

وأول استعمال لكلمة «مستشرق» ظهر فى سنة ١٦٣٠ م حيث أطلق على أحد أعضاء الكنيسة الشرقية أو اليونانية، وفى سنة ١٦٩١ م وجدنا

---

(١) الدكتور محمود حمدى زقزوق الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى ص ١٩

(٢) المصدر السابق ص ١٨، ١٩

(٣) المصدر السابق ص ١٩

(٤) المصدر السابق ص ٢٠

« أنتونى وود » يصف « صموئيل كلارك » بأنه « استشراق نابه » يعنى بذلك أنه عرف بعض اللغات الشرقية و « بيرون » حينما يتحدث عن المستر « ثورنتون » يذكر معارفه الكثيرة الدالة على استشراق عميق(١).

ويذكر «رودنسون» أن كلمة مستشرق ظهرت فى اللغة الأنجليزية حوالى عام ١٧٧٩ م كما دخلت كلمة «الأستشراق» على معجم الأكاديمية الفرنسية فى ١٨٣٨ م (٢) وتجسدت فكرة نظام خاص مكرس لدراسة الشرق، ولم يكن المتخصصون بعد من العدد، بحيث يمكنهم تشكيل جمعيات أو مجلات متخصصة فى بلد واحد. كان أفق هؤلاء المستشرقين يشمل عديدا من المجالات بطريقة غير متوازنة فى عمقها ، ومن هنا بدأ تصنيفهم كمستشرقين ، وشهدت فكرة الإستشراق تعمقا كبيرا إلا أنها تعرضت كذلك لأضرار ، وكان الشرق يأخذ مكانه فى مؤلفات القرن الثامن عشر إلى جانب العرب فى أفق شمولى (٣).

ولكن المهم هنا ليس هو متى ظهر مفهوم مستشرق أو أستشرق وإنما المهم هو متى بدأت الدراسات العربية والإسلامية فى أوربا ، ومتى بدأ الإشتغال بالإسلام والحضارة الإسلامية ، سواء بالقبول أو بالرفض وهذا أمر موغل فى القدم . أما المصطلح ذاته فلا يعنى شيئا أكثر من

(١) الدكتور أحمد سمايلوفتش : فلسفة الأستشراق ص ٢٢

(٢) أنظر مكسيم رودنسون تراث الإســلام تصنيف شاخت وبوزورث جـ ١ ص ٧٨ ترجمة الدكتور محمد زهير السمهورى سلسلة عالم المعرفة بالكويت ١٩٧٨

(٣) الدكتور أحمد سمايلوفتش فلسفة الاستشراق ص ٢٥

إقرار أمر واقع ، وأطلاق وصف على الدراسات التى كانت قائمة بالفعل قبل ذلك بقرون عديدة بصرف النظر عن عملية هـــذه الدراسات أو موضوعيتها (١) .

وعلى آية حال ـــ كما يقول الدكتور زقزوق — (٢) فان الدافع لهذه البدايات المبكرة للاستشراق كان يتمثل فى ذلك الصراع الذى دار بين العالمين الإسلامى والمسيحى فى الاندلس وصقلية . كما دفعت الحروب الصليبية بصفة خاصة إلى اشتغال الأوروبيين بتعاليم الإسلام وعاداته (٣) .

ولهذا يمكن القول بأن تاريخ الاستشراق فى مراحله الاولى هو تاريخ الصراع بين العالم النصرانى الغربى والقرون الوسطى والشرق الإسلامى على الصعيدين الدينى والآيديولوجى فقد كان الإسلام كما يقول «ساذرون» « يمثل مشكلة بعيدة المدى بالنسبة للعالم النصرانى فى أوربا على المستويات كافة (٤) .

---

(١) الدكتور محمود حمدى زقزوق الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى ص ٢١

(٢) مواليد محافظة الدقهلية عام ١٩٣٣ أتم دراسته فى جامعة الازهر وحصل على درجة الدكتوراه فى الفلسفة من جامعة ميونخ بألمانيا الغربية ١٩٦٨ ويعمل حاليا عميدا لكلية أصول الدين بالقاهرة وقد أصدر عدة كتب ودراسات فى الفلسفة .

(٣) أنظر الدكتور زقزوق الإسلام الإستشراق ص ٧٣ ضمن كتاب الإسلام والمستشرقون جده ١٤٠٥هـ

(٤) الدكتور زقزوق : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى ص ٢١.

فباعتباره مشكلة عملية، استدعى الأمر إتخاذ إجراءات معينة كالصليبية والدعوة إلى النصرانية والتبادل التجارى . . وباعتباره مشكلة لاهوتية تطلب بالحاج العديد من الإجابات على العديد من الأسئلة فى هذا الصدد وذلك يقتضى معرفة الحقائق التى لم يكن من السهل معرفتها(١) .

ويذكر الباحثون انه من القرن الخامس الميلادى حتى أواخر القرن الرابع عشر الميلادى كانت أوربا تعيش فترة يسمونها «العصور الوسطى» ويعدونها عصوراً مظلمة حيث كانت شعوب الفرنجة تعيش حياة همجية بائسة فى ظلال كنيسة متسلطة مستبدة ، ولكن كان أبرز حدث فى تاريخ هذه الفترة هى تلك النافذة التى فتحت فى جنوب أوربا الغربى تطل منه على الحضارة الإسلامية ، وذلك بوصول طلائع المسلمين إلى الأندلس وإقامتهم صرح الحضارة الإسلامية فيها والتى أمتدت إلى أواخر للقرن الرابع عشر الميلادى فى حوالى سبعة قرون(٢) . كانت فيها الأندلس مركزاً حضارياً فى هذا الجزء من أوربا يشع عليها آثاره فى زحف هادىء فى معظم الأحيان ، ثم فى صورة هجمات قوية كادت تخترق فرنسا إلى قلب أوربا فى أحيان أخرى(٣) .

وكانت هناك نافذة أخرى فتحت أمام أوربا على الشرق ، وهى الحملات

---

(١) المصدر السابق

(٢) العقاد : أثر العرب فى الحضارة الاوربية صـ ١١٥ — ١١٩ ، ط دار المعارف .

(٣) عبد العزيز القارى المستشرقون فى الميزان صـ ٢٧٢ ط المدينة المنورة .

الصليبية على بلاد الإسلام ، فقد جلب الصليبيون معهم إلى أوربا كثيراً من عادات المسلمين وأزيائهم وأنماط حياتهم ووسائلهم فى الحرب والبناء .

ولا شك أن عالم الكنيسة النصرانية أيقن أن زحف المسلمين هذا لم يكن زحفاً عسكرياً فحسب ، بل كان حضارة تمتد وتبسط نفوذها وتنشر معالمها فى كل بقعة تصل إليها ، فتغير من حياة الشعوب وأفكارهم وعقائدهم وأسلوب حياتهم .

وحاولت الكنيسة « روما » إيقاف هذا المد ففتحت محاكم التفتيش تنكل وتحرق وتقتل كل من رفـــع راية العصيان فى وجهها أو حاول التخلص من سيطرتها ورغم كل هذا فإن الكنيسة عجزت عن إيقاف التيار فاضطرت إلى أن تدافع عن نفسها بطريقة أخرى فبدأت بالاهتمام بدراسة اللغات الشرقية ، وفى مقدمتها اللغة العربية(١) .

فكانت طلائع المستشرقين من القسس والرهبان فانكبوا على دراسة اللغة العربية . وكان رجال الكنيسة يشكلون وحدهم الطبقة المتعلمة فى أوربا ويهيمنون على الجامعات ومراكز العلم فيها .

وأنشىء أول مركز لدراسة اللغة العربية فى الفاتيكان لتخريج أهل جدل يقارعون فقهاء المسلمين ، ويجادلون البروتستانت .

ورحل أول فريق من الرهبان إلى المغرب للغاية نفسها ، ورحل آخرون إلى المشرق. وأمر الفاتيكان بإدخال اللغة العربية واللغات الشرقية الأخرى فى مدارس الأديرة ، والكاتدرائيات وعمل إنشاء كراس لهذه اللغات فى الجامعات فى أسبانيا وفرنسا وإيطاليا ، وأصبحت جامعة باريس

---

(١) المصدر السابق ص٢٧٤ ، ٢٧٥

تشكل أهم مركز للدراسات العربية والشرقية ، واستعين بعـدد من علماء اللاهوت وبعدد من المستشرقين ، ممن أجادوا تلك اللغات للقيام بتدريسها فى تلك المدارس ، ولتولى تلك الكراسى فى الجامعات(١) .

ثم توسعت الدراسات الشرقية والعربية أكثر عندما أمر بابا الفاتيكان الخامس فى أوائل القرن الرابع عشر بإنشاء كراسى للغات العربية والعبرية والكلدانية ، فى عدد من الجامعات الرئيسية فى أوربا ، وهى جامعة باريس واكسفورد ، وبولونيا ، وجامعة الفاتيكان نفسه ، مع تنصيب أستاذين لكل من هـذه اللغات فى كل كرسى ، وتكليفهم بترجمة نصوص عربية وعبرية وكلدانية للرد على منتقدى الدين المسيحى(٢) .

الأمر المهم بالنسبة لتطور الاستشراق كان الاقتناع بضرورة تعـلم لغات المسلمين إذا أريد لمحاولات تنصير المسلمين أن تؤتى ثمارها بنجاح ومن بين من تبنى هـــذا الرأى الذى فرض نفسه بالتدريج روجربيون ، ور د رانموندال ، وقد صادق مجمع فيينا الكنسى عام ١٣١٢م على أفكار بيكون ولل بشأن تعـلم اللغات الإسلامية واللغة العربية على وجه الخصوص ، وقـــد تم تنفيذ ذلك فى جامعات باريس وأكسفورد وسلمنكا(٣) .

وقد ساعد على تقدم الدراسات الاستشارقية فى نهاية العصر الوسيط تلك الصلات السياسية والدبلوماسية مع الدولة العثمانية التى إتسعت رقعتها

(١) أنظر المصدر السابق صـ ٢٧٥ ، ٢٧٦ .
(٢) نجيب العقيقى المستشرقون جـ١ صـ ١٣٤ ط دار المعارف
(٣) الدكتور محمود حمدى زقزوق الإسلام والإستشراق صـ ٧٥ ط المعرفة جده

حينذاك وقد كان للروابط الإقتصادية لكل من آسبانيا وإيطاليا مع كل من تركيا وسوريا ومصر أثر كبير فى دفع حركة الدراسات الاستشراقية(١).

وفى القرن السادس عشر وما بعده أدت النزعة الإنسانية فى عصر النهضة الأوربية إلى دراسات أكثر موضوعية من ذى قبل، ومن ناحية أخرى ساندت البابوية الرومانية دراسة لغات الشرق من أجل مصلحة التبشير(٢) ولذا يرى كثير من الباحثين: أن الاستشراق لون من ألوان التبشير والغزو الفكرى، ويعود إلى أسباب دينية، فبعد عهد الإصلاح الدينى شعر الأوربيون من البروتستانت والكاثوليك بحاجة إلى إعادة النظر فى شروح كتبهم فاتجهوا إلى الدراسات العربية والإسلامية وأخذوا يستفيدون مما وصل إلى أيديهم من المؤلفات الإسلامية الكثيرة، ثم تطور الاستشراق فأصبح يهتم بالعلوم الإقتصادية والسياسية إلى جانب غرضه الأول وهو التمهيد للمبشرين وخدمة أهدافهم(٣).

وقد كثر المستشرقون فى أول الأمر بين اليهود لعدد من الأسباب حين كان الشرط الأساسى للاستشراق معرفة اللغة العربية. وبما أن اليهود يتكلمون لغة إعرابية، ولا نقل سامية، فإن تعلم العربية كان سهلا عليهم ثم أن اليهود فى الأصل شرقيون فساعدهم ذلك على فهم النصوص العربية وعلى إدراك المشاكل الشرقية أكثر مما كان ذلك مساعداً لغير اليهود

---

(١) المرجع السابق ص ٧٥

(٢) المصدر السابق ص ٧٥

(٣) الشيخ أحمد بشير الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام، ص ٤٦٩، ٤٧٠

وكذلك كان اليهود الذين يسكنون فى الغرب يعرفون الحاجات السياسية والعلمية التى كانت الدول والجمعيات المعنية بهذا الاتجاه ترمى اليها أكثر من غيرهم لجمعهم فى الأصل بين الذهن الشرقى والمسكن الغربى»(١).

والظاهر أن اليهود أقبلوا على الاستشراق لأسباب دينية ، وهى محاولة إضعاف الإسلام والتشكيك فى قيمه باثبات فضل اليهودية على الإسلام(٢).

وقد استطاع اليهود أن يكيفوا أنفسهم ليصبحوا عنصراً أساسيا فى إطار الحركة الاستشراقية الأوربية النصرانية(٣) .

ولم يرد اليهود أن يعملوا داخل الحركة الاستشراقية بوصفهم مستشرقين يهودا حتى لا يعزلوا أنفسهم وبالتالى يقل تأثيرهم ولهذا عملوا بوصفهم مستشرقين أوربيين ، وبذلك كسبوا مرتين :

— كسبوا أولا : فرض أنفسهم على الحركة الاستشراقية كلها .

— وكسبوا ثانيا : تحقيق أهدافهم فى النيل من الإسلام ، وهى أهداف تلتقى مع أهداف غالبية المستشرقين النصارى(٤) .

وقد ظل اليهود طوال تاريخهم يتحينون كل فرصة متاحة ليكيدوا

---

(١) الدكتور عمر فروخ الاستشراق فى نطاق العلم وفى نطاق السياسة صـ ١٣٣ ، ١٣٤

(٢) الدكتور محمد البهى الفكر الإسلامى الحديث ، صـ٥٤٣ ملاحق ط دار الفكر بيروت

(٣) الدكتور محمود حمدى زقزوق الاستشراق والخلفية الفكرية صـ ٤٩

(٤) المصدر السابق صـ ٥٠ بتصرف

الإسلام والمسلمين ، وقد وجدوا فى مجـــال الاستشراق بابا ينفثون منه سمومهم ضد الإسلام والمسلمين ، فدخلوا فى هذا المجال مستخفين تحت رداء العلم كما وجدوا فى الصهيونية بابا آخر يفرضون منه سيطرتهم على العرب والمسلمين(١) .

وتتمثل اتجاهات الاستشراق اليهودى فى عدة شبهات :

أولا : القول بأن المسلم معناه فى الأصل الخائن .

ثانيا : الادعاء بأن النبى عليه الصلاة والسلام كانت تنتابه النوب العصبية ودليل ذلك ما كان يصيبه من الجهد خلال نزول الوحى مع أنه عليه الصلاة والسلام لم يعرف فى تاريخه كله أنه كان يصاب بمثل هذه النوبات العصبية قبل زمن البعثة ومقدماتها .

ثالثا : الزعم بأن الرسول ﷺ عاشر بعض النصارى واليهود فاستفاد منهم كثيرا من القصص واقتبس بعض أساليب التعبير التى لم تكن معروفة للعرب مثل : ذاق الموت ونفخ فى الصور ، وفى اذانهم وقر . وهو ادعاء مسبوق ردده مشركوا مكة الذين قالوا: «إنما يعلمه بشر» وقد بكتهم القرآن فقال : «لسان الذين يلحدون اليه اعجمى وهذا لسان عربى مبين»(٢) .

« وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون »(٣) .

رابعا : الادعاء بأن محمدا ﷺ ما كان رسولا ولا نبيا فزعم العرب

---

(١) المصدر السابق ص ٥٠ بتصرف

(٢) سورة النحل الآية رقم ١٠٣

(٣) سورة العنكبوت الآية رقم ٤٨

فى تجسس الاخبار ، والاسراع بنقلها بطرق لم يوافق احد من المتحضرين حتى اليوم الى كشف سرها .

خامسا . إن محمدا ﷺ صادق الفراسة ، نفاذا للرجال إذا لقى احدهم انكشف له سره وافتضحت امامه خفايا صدره وعرف كيف يستمله ويجذبه اليه .

سادسا : ما كان من بلاغ النبى ﷺ ورسالته لم يكن وحيا يوحى وإنما هى انباء وروايات يجند لها جواسيسه ورجاله أو حقائق يبلغها بحذقه وفراسته .

سابعا : تزوج الرسول ﷺ بالسيدة خديجه رضى الله عنها طمعا فى ثروتها . وهى أكذوبة لا تتفق مع ما عرف عن رسول الله ﷺ من زهد فى الدنيا ، وانه لم يورث أعقابه الزهيد مما خلفاه بل جعله لعامة المسلمين بقوله : « نحن معاشر الأنبياء لانورث ماتركنا صدقة » .

ثامنا : الزعم أنه انشاء جمعية سرية واختار أبو بكر الصديق رضى الله عنه رئيسا لها ، لجعل يروج لها ويتفانى فى نشرها فكانوا يجتمعون فى بيت الأرقم وانهم كانوا يجتمعون سرا للصلاة وقد حاول المستشرق « مرجليوث » تشبيههم بالماسون وإن هذا الجمع قد اتخذ له رموزا منها : السلام عليك .

تاسعا : الزعم بأن النبى ﷺ نظر فى تعاليم النصارى واليهود فاخرج منها ما لا يقبله العقل ، وإنه وحد بين إله اليهود والنصارى وجعلهما واحدا .

ولا ريب أن هذا القول باطل من أساسه ، والحقيقة أن التوحيد

هو دين جميع رسل الله وأنبيائه ، وأن النصرانية واليهودية حرفتا هذه العقيدة(١)

على هذا النحو حاول الاستشراق اليهودى تصوير الإسلام ورسالته ونبيه ﷺ وهو ما أورده « مرجليوث » فى كتابه : محمـــد وظهور الإسلام(٢) .

وقد تابع « مرجليوث » على نفس الطريق فى الاستشراق اليهودى « جولد سيهر » ويعد جولد سيهر من أكبر الناقمين على الإسلام ويعد كتابه « العقيدة والشريعة فى الإسلام » مثلا لهذا التشويه الذى حاول به تمزيق الحقائق الإسلامية ، والذى يمثل تزويرا فادحا وتحريفا خطيرا لسمعة الإسلام(٣) .

ويضيف «جولد سيهر» إلى مفهوم الاستشراق اليهودى عدة شبهات :

أولا : القول ببشرية القرآن أى أنه ليس وحيا وان القرآن لم يأخذ خطا واحدا فى التعبير عن مدلول القضايا التى ساقها وان أسلوبه متباين بين البيئتين المكية والمدنية .

ثانيا : إن الإسلام كان مزيجا منتخبا من الفكر اليهودى والمسيحى .

ثالثا : استقبال الرسول لبيت المقدس والصلاة كان استرضاء لليهود .

رابعا : أن قصة إبراهيم فى القرآن مفتعلة ، وانها نزلت فى المدينة ارضاء لليهود والواقع ان القرآن تحدث عن إبراهيم عليه السلام فى أكثر من موضع فى القرآن المكى وأهمها سورة أبراهيم .

(١) الاستاذ أنور الجندى الإسلام فى وجه التغريب ص ٣١١ ، ٣١٢ ط دار الاعتصام

(٢) المصدر السابق ص ٣١٢ (٣) المصدر السابق ص ٣١٤

خامسا : الفقه الإسلامى مأخوذ من الفقه الرومانى .

سادسا : ان الإسلام قام على السيف .

سابعا : الحديث النبوى من صناعة الصحابة والتابعين .

ثامنا : الجيوش العربية أخرجها القحط والجوع .

تاسعا : انكار عالمية الرسالة(١) .

ولا ريب إن هذه الشبهات ليست جديدة ، وقد كشف كتاب المسلمين فسادها وزيفها .

حركة الاستشراق

إذا كان الأمر — كما عرفنا — من بداية الحركة الاستشراقية . فاننا نرى أن الحركة الاستشراقية انتقلت إلى مرحلة أخرى توجهت فيها الى دراسة الإسلام وما يتصل به ، وكان الهدف من ذلك هو التمهيد للاستعمار الزاحف فى ذلك الوقت(٢) .

ولما أدرك الغرب أن التغلب على المسلمين والتحكم فيهم عسكريا حدث قصير العمر ، انصرفت همم المستشرقين وعلماء الغرب إلى الغزو الفكرى(٣) والتبشيرى أو تحويل المسلمين عن الإسلام .

---

(١) انظر المصدر السابق ص ٣١٤

(٢) د. عبد العظيم الديب. المستشرقون والتاريخ مجلة البعث الإسلامى عدد ٣٢٢ ص ٢٤٣ رمضان وشوال ١٤٠٢ هـ الهند

(٣) د . حسن ضياء الدين الاستشراق مجلة كلية الشريعة ص ٢٦ العدد الخامس مكة المكرمة ١٤٠١هـ

وهذه المرحلة من أخطر المراحل ، بل هى الحرب الحقيقية ، والغزوة الشرسة التى لاتهدف إلا إلى هدم المنشآت وتمزيق الجيوش وتحطيم العزائم وطمس المعالم ، وتعمية الطريق . وبذلك يضمنون الخضوع من غير أن يحتاجوا إلى أن يرفعوا سلاحاً(١) .

ولذلك عمل المستشرقون على تقويض العقيدة الإسلامية ، وإحلال مفاهيم الصداقة بين الدول الغالبة والمغلوبة محلها تحت اسم الحضارة أو العالمية أو وحدة الثقافة والفكر البشرى(٢) والإخاء الإنسانى ، وما إلى ذلك من مسميات ويرى كثيرون : أن الإستشراق ولد من أبوين غير شرعيين هما : الإستعمار والتبشير ، وأنه مازال يعمل من أجل هذا الغرض الذى ولد من أجله وإن غير أساليبه وجلده ، مرات ليتلاءم مع الظروف المختلفة(٣) .

أما الإستعمار فهو يرى أن المفهوم الإسلامى السليم من شأنه أن يعطى المجتمع المسلم قوة تحول دون سيطرته واستمراره .

وأما التبشير فإنه يستهدف الحيلولة دون توسع الإسلام وانتشاره وقد أضيف إلى هذين الأبوين أب ثالث هو الصهيونية التى تهدف من سيطرتها على الإستشراق الحيلولة دون تجمع المسلمين والعرب فى وحدة تقاوم الصهيونية(٤) .

---

(١) الدكتور عبد العظيم الديب المستشرقون والتـاريخ بجلة البحث الإسلامى ص١٤٣ ، عدد ٢ ، ٣ رمضان وشوال ١٤٠٢ هـ .
(٢) دكتور على جريشة ومحمد شريف أساليب الغزو ص ٢٠ ط دار الإعتصام ١٣ هـ .
(٣) الأستاذ أنور الجندى الإسلام فى وجه التغريب ص ٢٦٥ ، ٢٦٦
(٤) المصدر السابق ص ٣٦٦

ولقد كان الإرتباط الجذرى بين التبشير والإستشراق أخذا وعطاء قويا، والفرق بينهما هو أن الإستشراق أخذ صورة البحث، وأدعى لبحثه الطابع العلمى الأكاديمى بينما بقيت دعوة التبشير فى حدود مظاهر العقلية العامة، وهى العقلية الشعبية.

وإستخدم الإستشراق: الكتاب، والمقال فى المجلات العلمية، وكرسى التدريس فى الجامعة، والمناقشة فى المؤتمرات العلمية العامة، أما التبشير فقـــد سلك طريق التعليم المدرسى فى دور الحضانة ورياض الأطفال والمراحل الإبتدائية والثانوية للذكور والإناث على السواء كما سلك سبيل العمل الخيرى الظاهرى فى المستشفيات ودور الضيافة والملاجىء للكبار، ودور اليتامى واللقطاء، وإســـتخدم كذلك دور النشر والطباعة والصحافة(١).

وإذا كان الأمر — كما ذكرنا — فإنه ولا شك فى أنه كان للإستشراق صلة بحركة الإستعمار الأوربى، وبحركة التبشـير المسيحى فى العصر الحديث.

كانت الغاية الأولى من هذا الإستشراق معرفة اللغة العربية ذلك أن اللغة هى الوسيلة الأساسية للسيطرة على الشعوب المحكومة أو للوصول إلى تفهم شعب، عقائد شعب آخر، فالإستشراق قد نشأ فى الدول الكبيرة القوية ذات المطامع فى التوسع وفى الأرض، وفى الدول التى أصبح لها فيما بعد مستعمرات مثل إنجلترا وفرنسا والمانيا وإيطاليا وأسبانيا وبلجيكا وهولندا والروسيا(٢).

---

(١) الدكتور محمد البهى المبشرون والمستشرقون ص٣٦١

(٢) الدكتور عمر فروج الإستشراق فى نطاق العلم وفى نطاق السياسة ص ١٢٠.

وحاول المستشرقون أن يحققوا أهدافهم بكل الوسائل ، ألفوا الكتب وألقوا المحاضرات والدروس وبشروا بالمسيحية بين المسلمين . وجمعوا الأموال، وأنشأوا الجمعيات وعقدا المؤتمرات وأصدروا الصحف، وسلكوا كل مسلك ، وظنوه محققاً لأهدافهم .

وفى عام ١٧٨٧م أنشأ الفرنسيون جمعية المستشرقين ألحقوها بأخرى عام ١٨٢٠ م وأصدرت « المجلة الآسيوية » .

وفى لندن تألفت جمعية لتشجيع الدراسات الشرقية فى عام ١٨٢٣ م وقبل الملك أن يكون ولى أمرها وأصدرت مجلة «الجمعية الآسيوية الملكية» وفى عام ١٨٤٢ أنشأ الأمريكيون جمعية ومجلة باسم : « الجمعية الشرقية الأمريكية » ، وفى العام نفسه أصدر المستشرقون الألمان مجلة خاصة بهم وكذلك فعل المستشرقون فى كل من النمسا وإيطاليا وروسيا(١) .

ويصدر الأمريكيون فى الوقت الحاضر مجلة « شئون الشرق الأوسط وقد حلت محل مجلة «جمعية الدراسات الشرقية » التى كانوا يصدرونها فى أوائل هذا القرن ، وأخر المجلات التى يصدرها المستشرقون الأمريكيون هى مجلة « العالم الإسلامى » التى أنشأها صموئيل زويمر سنة ١٩١١م وتصدر من «هارتفورد » بأمريكا ، وطابعها تبشيرى سافر(٢).

وللفرنسيين مجلة شبيهه بمجلة «العالم الإسلامى » فى روحها وإتجاهها العدائى التبشيرى وفى أسمها أيضاً(٣) .

---

(١) الدكتور محمد البهى المبشرون والمستشرقون ص٣٧٧

(٢) الشيخ أحمد بشير : الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام ص ٤٧١ ط الرياض بالسعودية .

(٣) الدكتور محمد البهى التبشير والإستشراق ص ٣٧٨

ولعل أخطر ما قام به المستشرقون حتى الآن هو إصـــدار « دائرة المعارف الإسلامية » بعدة لغات وكذلك أصدار موجز لها بنفس اللغات الحيه التى صدرت بهـا الدائرة ومصدر الخطورة فى هذا العمـل هو أن المستشرقين عبأوا كل قواهم وأقلامهم لأصدار هذه الدائرة وهى مرجع لكثير من المسلمين فى دراستهم على ما فيها من خلط وتحريف وتعصب سافر ضد الإسلام والمسلمين(١) .

ويعتمد المستشرقون — فيما يعتمدون — على عقد المؤتمرات العامة من وقت لآخر ، لتنظيم نشاطهم وأول مؤتمر عقدوه كان سنة ١٧٨٣ م وما زالت مؤتمرات تتكرر حتى اليوم .

وفى العصر الحديث تقوم المؤسسات الدينية والسياسية والإقتصادية فى الغرب بمـا كان يقوم به الملوك والأمراء فى الماضى من الإغداق على المستشرقين والمبشرين ، وحبس الأوقاف والمنح على من يعملون فى حقل الاستشراق والتبشير (٢) .

واتجه المستشرقون والمبشرون بمعاونة الإستعمار إلى مجال التربية محاولين غرس مبـــادىء التربية الغربية فى نفوس المسلمين حتى يشبوا مستغربين فى حياتهم وتفكيرهم وحتى تخف فى نفوسهم موازين القيم الإسلامية (٣) .

ولا يعرف العقل ولا المنطق حداً لما يقوم به المستشرقون من تحريف

(١) المصدر السابق ص ٣٨٧
(٢) المصدر السابق ص ٣٧٨
(٣) انظر مجلد العـالم الإسـلامى ١٦ مارس ١٩٥٩ ص ٩١٤ باكستان .

التاريخ الإسلامى وتشويه لمبادىء الإسلام وثقافته ، وإعطاء المعلومات الخاطئة عنه وعن أهله وكذلك يجاهدون بكل الوسائل لينتقصوا من الدور الذى لعبه الإسلام فى تاريخ الثقافة الإنسانية .

أن المستشرقين جميعاً فيهم قدر مشترك فى هذا الجانب ، والتفاوت أن وجد بينهم إنما هو فى الدرجة فقط فبعضهم أكثر تعصباً ضد الإسلام وعداوة له من البعض الآخر ، ولكن يصدق عليهم جميعاً أنهم أعداؤه(١).

والمستشرقون يتدخلون بشخصياتهم وآرائهم وأهوائهم الخاصة فيفسرون الحوادث، ويناقشون النصوص التشريعية ، ويحللون قضايا اللغة وشخصيات الحضارة الإسلامية كل ذلك يدرسونه من وجهة نظرهم ويطلون عليه من نافذتهم الخاصة، فيلقون عليه ظلالا معينة تغير معالم الصورة الأصيلة وفى غالب الأحيان تعطينا دراساتهم صورة غريبة مشبوهة لحضارة شرقية، وتقدم لنا الإسلام نفسه من خلال نظرة علمانية أو نصرانية هذا مع أنه توفرت للمستشرقين من الإمكانيات والعوامل المساعدة مالم يتوفر لأحد خاصة عند ما بسطت أوربا نفوذها وسيطرتها الإستعمارية على منطقة العالم الإسلامى وفتحت الأجواء فسيحة المستشرقين والمبشرين يتجولون فى المنطقة بحرية تامة ويعبثون بمصادر الثقافة فيها ومعالم الحضارة(٢) بل ويستولون على كثير من المخطوطات الثمينة التى تشكل بمجموعها صرح المكتبة الإسلامية الكبرى فينهبون المخطوطات وينقلونها إلى أوربا ، وقد اطلعت على بعض الدراسات التى ذكرت أنه بالإمكان أن نجزم أن حوالى تسعين فى المائة من المخطوطات الثمينة نهبت وانتقلت إلى مكتبات وجامعات أوربا وأمريكا

---

(١) الدكتور محمد البهى المبشرون والمستشرقون ص٣٧٩

(٢) الشيخ عبد العزيز القارىء المستشرقون فى الميزان ص ٢٧٧ ، من محاضرات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٣٩٣هـ .

وذلك على أيدى المستشرقين الذين كانوا يلتقونهـا بخبرة ومعرفة دقيقتين(١) .

وكان انتقال هذا التراث إلى أيدى دوائر الإستشراق واحداً من أخطر التحديات لأنه أصبح حجة لنا لا علينا وأصبح أحياؤه يجرى على النحو الذى يختاره الإستشراق لا وفق إرادتنا الخاصة (٢) .

ولذا أحيا المستشرقون أنواعاً معينة وأولاها إهتماماً كبيراً منها دراسات الحلاج التى عنى بها المستشرق « ماسينيون » ودراسات عن السهروردى وبشار وأبو نواس وألف ليلة وليلة ، وكليلة ودمنة وما يتصل بابن الراوندى وإحياء الأغانى وكل هذه الدراسات فيها شبهة طرح مفاهيم من شأنها أن تحطم مفهوم الإسلام الأصيل أو تزييفه(٣) .

وأن أى محاولة لتصور فلسفة الإستشراق لا تعدو ما أورده الباحثون المتصفون من أنها محاولة الإستعمار الغربى لدراسة العقلية العربية الإسلامية، والنفسية العربية الإسلامية، بقصد الإنتفاع بذلك فى التعامل معها والسيطرة عليها وتدمير مقوماتها التى أعطتها القدرة على التماسك والصمود(٤) .

ويخلط الإستشراق كثيراً بين الإسلام كدين وتعاليم ثابتة والقرآن الكريم والسنة الصحيحة وبين الوضع المتردى للعالم الإسلامى فى عالم اليوم .

---

(١) المصدر السابق ص ٢٧٧

(٢) الأستاذ أنور الجندى الاسلام فى وجه التغريب ص ٣٢٩ بتصرف

(٣) المصدر السابق ص ٤٠٠

(٤) المصدر السابق ص ٤٠٢

فالاسلام الكتاب والسنة يعد فى نظر مستشرق معاصر مثل «كيسلنج» إسلاماً ميتاً أما الإسلام الحى الذى يجب الإهتمام به ودراسته فهو ذلك الاسلام المنتشر بين فرق الدراويش فى مختلف الأقطار الاسلامية، هو تلك الممارسات السائدة فى حيـــاة المسلمين اليوم بصرف النظر عن إقترابها أو إبتعادها من الاسلام الأول(١).

ويؤكد الإستشراق بوضوح على أهمية الفرق المنشقة عن الاسلام كالبابية والبهائية ، والقاديانية ، وغيرها من فرق قديمة وحديثة ، ويعمل على تعميق الخلاف بين السنة والشيعة ، والمستشرقون يعدون المنشقين عن الاسلام على الدوام أصحاب فكر ثورى تحررى عقلى ودائماً يهتمون بكل غريب وشاذ(٢) .

فالاستشراق فى شطرية عاملا مع الكنيسة أو عاملا مع الاستعمار لا يستطيع أن يخلص إلى الحق وإنما هو يؤدى دوره فى اثارة الشبهات وتقديم الزاد الكافى لدراسات التبشير ومعاهد الارساليات لايجاد تيار زائف مضلل(٣) .

وكان من بين الخطط التى دبرت أن يعمل المبشرون بكل الوسائل للتشهير بالدين الاسلامى وإظهاره برغم وحدانيته فى صورة أدنى إلى الغريزة البشرية وأنه يصلح لاشياع النزاعات الدينية السطحية دون التعمق فى تهذيب الروح والخلق وزعموا أنه دين يشجع الحياة الجنسية ويدعو إلى الخمول والكسل والاستسلام لأحكام وتصرفات القدر .

ولقد عاون المستشرقون فى تثبيت وتأكيد هذه الاتهامات وتوسعوا فيها:

(١) الدكتور محمود حمدى زقزوق الاستشراق والخلفية الفكرية ص١١٦
(٢) المصدر السابق ص ١١٦
(٣) الأستاذ أنور الجندى الاسلام فى مواجهة التغريب ص٤٠٢

وقفة انصاف

وبعد هذا الذى ذكرناه نعود إلى وقفة انصاف لابد منها : حيث أنه من المقطوع به أن الاستشراق من خلال هدفه ومهمته ، قدم للفكر الإسلامى العربى أشياء كثيرة نافعة لا يمكن انكارها ولا تجاهلها ولا نكون مجاملين لأحد عندما نقول إن دراسات المستشرقين أدت خدمات فى مجالين .

المجال الأول : استيعاب المصادر وجميع المعلومات بشكل واسع ، وربما ساعدهم على ذلك اهتمامهم بالاختصاص الدقيق بحيث يقضى أحدهم فترة طويلة من عمره فى بحث واحد يتفرغ له.

المجال الثانى : الترتيب والتنسيق فى منهج البحث والتأليف والاحصاء والفهرسة ، وعنايتهم بها عناية كبيرة . وكأن ذلك شيئا جديدا على الدارسين فى الفترة التى ظهرت فيها دراسات المستشرقين إلى عالم القراء .

وتنبهت الأوساط العلمية والدارسون فى العالم الإسلامى إلى هذا المنهج المنسق الذى ظهـــر فى دراسات المستشرقين فاستفادوا منه فى بحوثهم ودراساتهم ، وان الباحث ليعترف بهذه الخدمات التى أدتها دراسات المستشرقين(١) .

ولا يفوتنا أن نذكر : أن بعض المستشرقين سلكوا منهجا خاصا بهم فى كثير من الأحوال،فن جهود المستشرقين نشر الأصول العربية نشرا محررا مصححا بالمقارنة بين المخطوطات الراهنة. إن تاريخ الطبرى وطبقات ابن سعد . وتفسير البيضاوى، قد رأت النور أول مارأت على يد مستشرقين

---

(١) الشيخ عبد العزيز القارى المستشرقون فى الميزان ص ٢٧٨

قضوا فى تحريرها جانبا كبيرا من حياتهم ثم أخرجوها لنا ولهم أيضا فى حالة وافية صحيحة وكتب المستشرقون لتلك الكتب مقدمات صحيحة فيها دراسة وتقويم لتلك الكتب :

وبدأ المستشرقون عمل الفهارس الهجائية للكتب التى حرروها ولم نعرف نحن ذلك قبلهم(١) :

وقد خدم المستشرقون كذلك تراثنا الإسلامى لما نقلوا جانبا كبيرا من كتبنا إلى لغاتهم(٢)

أما فيما يتعلق بفنية البحث عن أحاديث الرسول ﷺ فإن الاستشراق قدم إلى الدراسات العربية الإسلامية خدمة جليلة نقدرها حق قدرها لأن من شأنها أن تسهل البحث عن النصوص المنتشرة فى مجلدات لا حصر لها وإذا كان « مفتاح كنوز السنة » الذى وضعه المستشرق الانجليزى ونسنك والذى قام بنقله محمد فؤاد عبد الباقى يعد من أعظم الأعمال الميسرة للبحث عن النصوص النبوية فى حوالى أربعة عشر كتابا من كتب الحديث فإن المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى يعد فى قمة الأعمال التى قام بها المستشرقون فخدموا كل باحث أو طالب الحديث فى كتب تسعة من أمهات كتب الحديث(٨٩) وهذا يدل على أن هناك اتجاها طيبا عند البعض فى الظاهر

---

(١) الدكتور عمر فروخ الاستشراق فى نطاق العلم وفى نطاق السياسة ص ١٣١ من كتاب المستشرقون والإسلام طبع الهند

(٢) المصدر السابق ص ١٣٢

(٣) الدكتور أحمد سمايلوفتش فلسفة الاستشراق ص ٢٠٦ بتصرف

كيفية المواجهة :

إذا كان الفكر الاستشراق - بعيداً عما ذكرناه فى دائرة الانصاف - له خطورته لانه لايقوم على منهج علمى سليم وأنه يزيف الحقائق ويخلط بين الحق والباطل ، وأنه يتصل بالتبشير اتصالا وثيقا . وأن التعاون بينهما قائم ومستمر .

فكيف نواجه الاستشراق والمستشرقين ، والتبشير والمبشرين ؟ إن تلك المواجهة حتمية .

أما بالنسبة للمستشرقين والاستشراق ، فإن الأمر يقتضى :

أولا : أن نأخذ بالحذر والتحفظ والحيطة كل ما يأتى به المستشرقون حتى بالنسبة لهـذه الآثار التى اشتهرت بالانصاف والاعتدال؛ لأن التى عرفت بالتعصب والانحراف لم يصرح لها وزن حتى عند بعض المستشرقين

ومن الثابت المؤكد أن الدين الإسلامى قد وضع قواعد مضبوطة وموازين معلومة ومقاييس خاصة لقبول الأخبار ورواتها فى علم مصطلح الحديث الذى يعتبر أصح ما عرف من قواعد علمية للرواية والأخبار بل أنه قد نهج على منهج علماء الحديث علماء السلف فى الميادين العلمية كالتاريخ والفقه والتفسير واللغة والأدب وغيرها فكانت المؤلفات العلميـــة فى العصور الأولى مسندة بالسند المتصل جيلا بعد جيل وهذه ميزة لم توجد فى مؤلفات العلماء من الأمم الاخرى حتى ولا فى كتبهم المقدسة(١) .

---

(١) الدكتور محمد علوى المالكى الحسنى المستشرقون بين الانصاف والعصبية ص ١٦٩ من كتاب الإسلام والمستشرقون

ثانيا : يجب أن يكون عند المسلمين استقلال فكرى، وشعور بالشخصية الإسلامية، واعتزاز بالقيم الحضارية، والتراث الأصيل وليس من الانصاف أن يعتمد المسلمون فى معرفة تراثهم وعقيدتهم وتشريعهم على ماأعده المستشرقون من كتابات .

وقد اعتمد على ماأعده المستشرقون كثير مما ينتسبون إلى الإسلام فأصبحوا خطراً على الإسلام والمسلمين :

وإنك تلاحظ أن المؤسسات الغربية تكافىء كتابنا الذين يرددون مقولات المستشرقين وافتراءتهم .

وقد نشرت صحيفة أخبار اليوم الصادرة فى ٩ ربيع الثانى الموافق ١٩ نوفمبر ١٩٨٨ « إن الكاتب الهندى المسلم سلمان رشدى حصل على أكبر جائزة أدبية بريطانية فى مجال القصة عن كتابه « قصائد شيطانية » الذى أساء فيه إلى الإسلام ورسول الله عليه الصلاة والسلام »(١)

ثالثا : إن أخطر منزلق تهوى به الكلمة ويتداعى الحرف فى هاويته السحيقة هو التضليل ، والخداع . والتمويه ، وقلب الحقائق ، وتشويه الحقيقة، عن طريق تصنيع الكلمة وزخرفة القول ، والدخول إلى المخاطب من نقطة الضعف والاستغفال ، لاغرائه والإيقاع به والايحاء له بسلامة الفكرة وصحة المفهوم المزيف الذى تحمله هذه الكلمة الخبيثة .

وهذا مايقوم به الكثير من المستشرقين وربائبهم فى مجتمعات الأمة الأمة الإسلامية .

---

(١) أخبار اليوم ٩ ربيع الثانى هـ عدد ٢٢٩٨ ص ٧ القاهرة .

[وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا](١) .

ومن هنا كان على الأمة أن تواجه هذه الفئات مواجهة علمية . وذلك ببيان الحق ، وفضح أكاذيب المستشرقين وتعرية افتراءاتهم

رابعاً : كم عانى الإنسان من أولئك الشياطين صناع الكلمة الضالة المنحرفة التى قادت البشرية إلى هاوية الضلال والانحراف . فلقد كان لهذه الكلمة الهدامة فى كل عصر وجيل أثره ودورها التخريبى فى حياة الإنسان إلا أن البشرية لم تشهد فى مرحلة من مراحل حياتها وضعا كان فيه الكلمة خبراء ومتفلسفون ومؤسسات كما نشهد فى العصر الحاضر .

هذا العصر الذى اتخذت فيه الكلمة الخبيثة المخزية ، صيغة المنهج العلمى والفلسفة النظرية . لذا كان الإنسان بحاجة إلى توعية موجهة مخططة تكشف له زيف هذه المناهج الاستشراقية والمبادىء والنظريات والفلسفات وتعمق له وعيه وحسه قبل الاستجابة والوقوع تحت تأثير الكلمة الخداعة المغرية .

خامسا : لكى نتمكن من المواجهة لابد من عمل موسوعة للرد على المستشرقين وكانت - كما يقول الدكتور محمود حمدى زقزوق - دعت المنظمة العربيه للتربية والثقافة والعلوم فى نهايه عام ١٩٧٩ إلى ندوة لمناقشة اعداد موسوعة الرد على المستشرقين ، وقد حضر الندوة عدد يزيد على العشرين من العلماء والمفكرين المهتمين بهذا الموضوع ، وأعد الدكتور زقزوق باعتباره مقرر الندوة آنذاك التقارير عن المنهج العلمى الواجب اتباعه فى إعداد هذه الموسوعة وتم التقرير وتسليمه إلى المسئولين عن الندوة المذكورة وقضى الأمر ، ونامت الفكرة .

---

(١) سورة الأنعام ١١٢

سادسا : لابد من إعداد دائرة معارف إسلامية . يضعها العلماء المسلمون تغطى حاجة الباحثين والدارسين . فدائرة المعارف الإسلامية التى وضعها المستشرقون فيها ما فيها ، لا زالت هى المصدر الرئيسى لكثير من الكتاب وطلاب العلم فى كل مكان . وهذا خطر يسمم الفكر ويعبث بالأصول والقواعد .

سابعا : لابد من العمل على إنشاء معاهد للدراسات الاستشراقية فى مجتمعات وبلدان الأمة الإسلاميـــة لدراسة أفكار الاستشراق والرد عليها وإذا كانت هناك معاهد للدراسات العربية والدراسات السكانية والدراسات الافريقية فمن باب أولى أن تكون هناك معاهد متعددة للدراسات الاستشراقية لأن ما يصيب الأمة الآن من إضطراب وقلاقل هى من جراء التخطيط الاستشراقى التبشيرى .

ثامنا : يجب أن يكون تناولنا للاستشراق والكتابة فيه مستمراً . حتى يظل الناس على وعى من الخطورة المحدقة وعلى بينة لما يلقى فى الساحة من إفتراءات وتضليل ونحن كثيراً ما نواجه المشكله حينما تطفو على السطح فقط . وذلك مثل المواجهة التى واجهنا بها البهائية والبابية حيث كثرت الكتابة والكلمة حولها حينما كانت المشكلة قائمة ثم نام كل شىء ولا يتحرك له أحد للكتابة إلا حينما يطفو على السطح أمر البهائية مرة أخرى وهذا الأسلوب فى غاية الخطورة .

فمهمتنا أن نستمر فى الكتابة والمواجهـــة حتى يعرف من لم يكن قد عرف .

تاسعا : سماحة الإسلام تدعونا إلى أن نمد أيدينا بالترحاب والصداقة إلى أولئك المعتدلين من المستشرقين كما مددنا بيد التقدير إلى المستشرقة الألمانيه الدكتور سيجريد هونكة والمستشرق الأمريكى الذى ألف كتابه

« مائة أعظمهم محمد » وقد أحسنت وزارة الأوقاف صنعا فيما قامت به من دعوة هؤلاء وتكريمهم وتقديرهم .

عاشراً : على الهيئات الإسلامية فى العالم الاسلامى أن تراسل مؤسسات الاستشراق فى العالم وترسل علماءها لمشاركة هؤلاء وتلبية دعوتهم فإن هذه المراسلة والمشاركة لها آثارها . فقد نرد عليهم ونوضح لهم الحقائق .

حادى عشر : إن الهيئات والمؤسسات الاسلامية ملزمة بالاتفاق مع الجامعات الاسلامية فى الدول والمهتمين بالشئون الاسلامية والغيورين على الاسلام الدعوة إلى عقد مؤتمرات عن الاستشراق تحت إشراف الهيئات الاسلامية الحريصة على مصلحة المسلمين .

أما بالنسبة للتبشير والمبشرين فان الأمر يقتضى :

أولا : ندرك تماما أن هؤلاء لا يبشرون بدينهم وعقائدهم أو يعملون على تحويل المسلم عن الاسلام إلا فى حالة إدراكهم أن المسلمين غير مهتمين بالاسلام سلوكا وتطبيقا . ومن هنا كان علينا أن تكون مواجهتنا للتبشير عملا يعمل يهتم بإنشاء المستوصفات والمستشفيات والملاجىء ورعاية الأيتام واللقطاء والمسنين والمدارس ويصاحب ذلك توعية إسلامية وتبشيرية بالاسلام .

ثانيا : أن مايقوم به التبشير النصرانى فى إفريقيا والمجتمعات الاسلامية المختلفة من بناء للمستشفيات الخيرية والمدارس وغيرها مما يقدم للإنسان هو عمل خيرى فى الدرجة الأولى لأن الانسان فى مثل هذه المجتمعات فى حاجة إلى من يقدم له يد العون والمساعدة بالعلم والخبز والعلاج والناس هناك ليسوا فى حاجة إلى خطب رنانة ومواعظ لا واقع لها . فإذا أراد المسلمون المواجهة فعليهم أن يعملوا مثل مايعملون ويزيدون عليهم . إن أمتنا إنغمس القادرون فيها فى عالم الشهوات والملذات واللهو والحروب

بأموالهم ومدخراتهم إلى بنوك أوربا وأمريكا لتصبح هـــذه الأموال العربية والاسلامية عاملا مهما من عوامل التبشير فى العالم الاسلامى .

ولو أن هذه الأموال أتيح لها الاستثمار فى المجتمعات الاسلامية لفتحت العمل أمام ملايين المسلمين ، وأغنتهم عن الحاجة .

ثالثا : يجب أن يدرك المسلمون أن التبشير يملك إمكانات هائلة فيجب أن يعمل المسلمون فى الأمة الإسلامية على توفير الإمكانات للمواجهة العلمية الاسلامية .

رابعا : إن المبشرين يتحملون الصعاب والمشاق ، ويكفى أحدهم أن يجد طفلا يتيما أو لقيطا فيسعى على تعليمه وتربيته . ولهذا نسمع عن سرقة الأطفال فى لبنان أو أفغانستان أو غيرهما ليعود هؤلاء مبشرين بعد ذلك . فاذا فعلنا نحن ؟ إننا فى أشد الحاجة إلى أن نتنبه إلى تعاليم الاسلام التى تدعو إلى رعاية الأرملة والمصاب والمسكين واليتيم .

خامسا : المبشرون يعملون من خلال تخطيط دقيق وينفذ بدقة . ونحن ما أكثر مؤتمراتنا التى تتمخض عن لا شىء . أن المواجهة تقتضى تخطيطا ينفذ ، وعملا يأخذ طريقه .